الآراء الـــواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

على هامش الصراحة

مصر الحبيبة

■ إحسان شمران الياسري

أُصبتُ بالصدمة وأنا أنظر للتقارير عن مصر الحبيبة وتداعيات الثورة الشعبية الكبرى التي اندلعت فيها.. فلقد تحركت العصابات تحت مظلة الثائرين وبدأت بالاعتداء على المال العام والخاص بالنهب والتخريب دون رادع من ضمير.. وطال التخريب والنهب المتحف المصري، لولا إرادة الله التي مكّنت الجيش من إلقاء القبض على المهاجمين واسترداد ما نهبوه. والفارق بين ما حصل في العراق عام ٢٠٠٣ تحت مسمى (مهرجان الحواسم) وما يحصل في مصر، إن العراقيين نهبوا الممتلكات العامة (أو خرّبوها)، ولم تسجل حالات لنهب الممتلكات الخاصة، لأن الأولى هي (حصتهم من النفط!!).. أما الثانية فممتلكات العباد.. أما في مصر، فقد تم نهب كل ما وصلته أيديهم من الممتلكات العامة والخاصة.

وقد اتصلت بأحد الأصدقاء العراقيين في مدينة ٦ أكتوبر اطمأن على أوضاعه، فقال لي (والله يا سيد إحنه مجتمعين بأبواب العمارات وكل واحد لازم توثيّه حتى نحمي أنفسنا).

إن مصر تمر اليوم بمفترق طرق عصيب، نتمنى من الله تعالى أن يُخرجها منه بأقل الخسائر وأفضل النتائج.. فلقد تعلمنا من فلم (إحنه بتوع الأوتوبيس) للفنانين عادل إمام وعبد المنعم مدبولي، عن أحوال الشعب المصري ما لم نستطع معرفته من الكتب والتقارير عن فترة حكم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وكيف تعاملت الأجهزة الأمنية مع الحكومة لتخويفها من الشعب.. وايضاً كيف أدخلت الرعب في نفوس الناس من كل ما له صلة بالأمن والمباحث والمخابرات.. وتوالت بعد ذلك مجموعة من الأفلام الرائدة في كشف قسوة الأجهزة الأمنية من جانب، وعرض الأحوال الصعبة للطبقات الفقيرة وسكّان العشوائيات.. وحتى تسليط الضوء على المؤسسات الدينية ورجال الدين في مصر، كشف وجود مشاكل عديدة في هذا المجال..

ويوم حلّقت الطائرة فوق مدينة القاهرة عصراً، شعرت بالرهبة للزحام الشديد في الأبنية والشوارع التي مرّت عليها الطائرة.. وعجبت من احتمال المدينة لهذا الكم الهائل من الأبنية ومن الناس التي تسكنها، وتخيلت حجم القصور الذي تعانيه في الخدمات..

ودون الخوض في التفاصيل والأرقام، فإن القاهرة وحدها ربما تحتضن ما يزيد على نفوس أربع أو خمس دول افريقية صغيرة، وهي لم تتطور من النواحي التنظيمية أو لجهة البُنية التحتية، مما جعل الحياة، ولاسيما في الأحياء الفقيرة، مستحيلة..

ومن الواضح إن أحوال بغداد ليست بأحسن من أحوال القاهرة، لكن، كما يقول السيّاب العظيم (عمياءُ كالخفاش في وضح النهار هي المدينة، والليل زاد لها عماها)، فبغداد زادت عليها لا مبالاة وفساد الأجهزة التي تنفذ الخدمات بل والتي تُخرّب ما تبقّى من خدمات في بغداد تحت ذريعة إعادة الإعمار. وزاد عليها خراب الرؤى ومحاصرة الثقافة والنوادي، واستخدام الحقائب الجاهزة للترهيب.. فحقيبة الدين، وحقيبة الأخلاق، يرفعها اليوم بعض الذين ليس لديهم دين أو أخلاق للأسف..

اللهم أحفظ مصر، وأهل مصر، والعراقيين في مصر، وأبعد عنهم كل مكروه، واجعل الخواتيم خيراً وأماناً عليهم.

ihsanshamran@yahoo.com

مـــن شـــخـــصـــيـــة مـــصـــر

عواد ناصر

> ما الذي يحدث في العالم العربي ؟ وكيف وصلت الأمور لهذا الأمر ؟ وما هي المعالجات التي من شأنها أن تمتص غضب الجماهير ؟ تاريخ مصر هو تاريخ من الخطوط المفتوحة على بعضها، رغم تقاطعها واتجاهاتها نحو جهات متباينة، فالكثير من ضحايا الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وهم كثيرون من معتقلي سجون طرة وأبي زعبل والواحات وغيرها، لم يكرهوا عبدالناصر، بل أن الكثيرين منهم عبّروا عن تقديرهم لقائد ثورة ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢، رغم اختلافهم معه، ومنهم مفكرون ومثقفون وفنانون يساريون وديمقراطيون.

.. وإذ تسبب نظام عبدالناصر بالهزيمة الكبرى بعد حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، وما ترتب على تلك الهزيمة من فضيحة قومية فاقعة، خرجت تظاهرات مليونية (أيضاً) تسامح عبدالناصر على خطيئته وتطالبه بالعودة رئيساً بعد أن أعلن عن تنحية إثر تلك الهزيمة!

عبدالناصر الذي سلب الشعب المصري أهم ما ينبغي أن يتمتع به شعب حر: التفكير المستقل من دون دكتاتور محبوب مثل جمال عبدالناصر الذي لم يصبح رئيساً لمصر عبر انتخابات حرة، مباشرة، سريّة، بل وفق ما اخترعته الأنظمة "الثورية" العربية من "شرعية ثورية" حكمت شعوبها لعقود طويلة، من الأحفاد المعاصرين لتولي الرئيس السلطة حتى الأجداد الذين شارفوا على الموت والرئيس لم يزل يصبغ شعره ويقود البلد من كارثة إلى أخرى.

مفكرو ومثقفو مصر، من ضحايا عبدالناصر، عبّروا عن احترامهم له، لأسباب مختلفة، لكن من بين أهم تلك الأسباب هو وطنيته ونزاهته، لكن الوطنية والنزاهة ليستا سبباً وحيداً يجعل من الحاكم حَكَماً عادلاً.

الباحث الراحل جمال حمدان في كتابه (شخصية مصر – أربعة أجزاء) أشار إلى الطابع المائي لروح مصر وشعبها بوجود النيل هبة خضراء، وهذا ما يجد انكاسه في علاقات المصريين اللغوي والتعبيرية المتسامحة، وحتى المبالغة، في تمجيد بعضهم البعض، ولو ظاهرياً، لكن بلد الرافدين (نهران لا واحد) لم يهب العراقيين روحاً مائية، فهل القاعدة التي لا تخلو من شواذ؟

نوع المكان والزمان المصريين: الجغرافيا والتاريخ، حسب حمدان، صاغ شخصية إنسانية متنوعة، فترى في مصر الكثير من أشكال الاختلاف والتناقض: الرقة والصعوبة والثورة والتسامح والغليان والتداعي الحر في لحظة انفكاك عجيبة من أي إرث سابق.

ثمة في مصر تفاعل الصحراء الشاسعة والبحر الصاخب والنهر المنساب، وهي آسيوية أفريقية عربية إسلامية قبطية، طلع منها الشاعر اليوناني قسطنطين كافافي اسكندرانياً، وأحمد شوقي، شاعر الملوك مغنيا للحرية، بل الثورة، وعبد الحليم حافظ ربيب عبدالناصر، الدكتاتور الثوري بأعذب أغاني الرومانس العربي في القرن العشرين ولم يزل.

تلكم بعض ملامح التنوع/ التناقض في الشخصية المصرية، على أن التنوع والتناقض ظاهرتان لا تنفصلان، بل تتنافذان وتسقي إحداهما الأخرى بما ينتج مزيجاً إنسانياً رحباً.

منذ سقوط الملك فاروق على أيدي "الضباط الأحرار" ومراكز القوى الحكومية تسلم السلطة لمراكز قوى حكومية بمعزل عن أي إرادة شعبية حرة تجد تعبيراتها في انتخابات حرّة ونزيهة، فالتحرر من الاستعمار الأجنبي لم يؤد إلا إلى الاستبداد الثوري.

الشعب المصري ظل أسير كاريزما عبدالناصر وقوة خطاب مزدوج: تشهيري، شعبوي، مثّله الإذاعي الشهير أحمد سعيد وتنظيري قومي مثّله محمد حسنين هيكل وما يتراوح بينهما من بروباغاندا لم تزل متفشية حتى اليوم، وستتفشى لعقود مقبلة.

ليس غريباً أن نرى على فضائية عربية الشاعر أحمد فؤاد نجم، قبل يومين أو ثلاثة، وهو ينظّر لشيوعية الإمام علي، ويعبر عن إيمانه الإسلامي ويؤدي الشهادتين، بل يضيف إليهما الثالثة: أشهد أن علياً وليّ الله، ويستشهد بنصوص سليمة من القرآن الكريم والحديث، من دون أي نص أجنبي ماركسي أو لينيني أو غيفاري وهوالذي كتب للثائر الأرجنتيني مرثية جميلة في ستينات القرن المنصرم.. فإذا نحن إما شيوعي إسلامي!

مـــصـــر ودرجـــات الـــغـــلـــيـــان

> ما الذي يحدث في العالم العربي ؟ وكيف وصلت الأمور لهذا الأمر ؟ وما هي المعالجات التي من شأنها أن تمتص غضب الجماهير ؟
> حالة جديدة تسيطر على الشارع العربي ، سواء في تونس أو مصر أو اليمن ، وجميعا تابعنا حتى ساعات متأخرة من ليلة الجمعة ما يدور في مصر وبالتحديد في القاهرة والسويس والإسكندرية ، التي شهدت موجة غضب شعبي كبيرة جدا تؤكد أن جيل الشباب في مصر يختلف كثيرا عن الأجيال السابقة التي ظلت الأنظمة الحاكمة تسيطر عليها عبر الشعارات التي كانت أغلبها تعزف على نغمة (القومية) و (الحرب مع العدو) و(شد الأحزمة) .

حسين علي الحمداني

وهذه الشعارات في عصر الانفتاح والعولمة وتكنولوجيا الاتصالات لم تعد تأتي أكلها ،والحرب مع العدو لم يعد لها وجود في ظل السلام واتفاقياته ، وسياسة شد الأحزمة باتت من مخلفات الماضي ، وبالتالي نجد ثمة فجوة كبيرة بين الشعب والنظام السياسي ، وهذه الفجوة ساهمت قرارات الحكومة في اتساعها بل تقليصها .

ما حدث في (جمعة الغضب) هو مزيد من الفجوة بين الحزب الحاكم وقطاعات واسعة من الشعب ، هذه الفجوة تمت ترجمتها فعليا بإحراق مقرات الحزب الوطني الديمقراطي ، وهذا بحد ذاته يمثل ترجمة لحالة الغضب الشعبي التي يجب أن يتفهمها الجميع ، فعندما ينصبّ غضب الجماهير على مقرات الحزب الحاكم يعني في ما يعنيه رفض سياسات هذا الحزب وثمة قطيعة بين الشعب والسلطة .

وحقيقة الأمر عند مشاهدتي هذه الأحداث كأني كنت استعيد شريط الانتفاضة الشعبانية للشعب العراقي في آذار ١٩٩١ حيث خرج الشعب العراقي منتفضاً ضد النظام المباد محطما مقرات الحزب المقبور ورافعا شعارات الحرية ومطالبا بالعدالة والقضاء على الفقر ، وبالتالي فإن العوامل متشابهة وربما في مصر الآن هنالك عوامل أخرى تساهم بشكل كبير في إظهار انتفاضة الشعب المصري بحكم توفر وسائل الإعلام المتقدمة والسريعة والتي حشدت كل إمكاناتها لمتابعة الأحداث لحظة بلحظة ، يضاف إلى ذلك اهتمام المجتمع الدولي سواء أمريكا أو الاتحاد الأوربي بما يحدث أولاً بأول ، وهذه الدول سارعت بإعلان مواقفها داعية الحكومة المصرية لإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية . وفي عام ١٩٩١ لم نجد ذلك الاهتمام الدولي بالانتفاضة الشعبانية والتي تعرضت لقمع شديد من قبل أجهزة النظام المقبور رغم إن النظام البعثي آنذاك سقط فعلا في أكثر من ١٤ محافظة عراقية يضاف إليها انتفاضة شعبنا في كردستان والتي كان لها الأثر الكبير في إضعاف النظام المباد ومن ثم تبنيها أي تبني حكومة إقليم كردستان فضح جرائم النظام أمام المجتمع الدولي في ما بعد ، وهذا ما يجعلنا نؤكد أن نظام المقبور صدام عام ١٩٩١سقط شعبيا، ولكن كما قلنا لا يمكن مقارنة المناخ السياسي العالمي عام ١٩٩١ وعام ٢٠١١ ، ولا يمكن أن نجد ثمة مقارنة عبر توفر وسائل الاتصالات المتقدمة حاليا .

ما أريد أن أقوله إن غضب الشعب عادة ما يكون لمقرات الحزب لكونه مسؤولا عن كل ما يجري في البلد بحكم إنه الحزب الحاكم منذ عقود طويلة .

والشيء الآخر الذي ربما غاب عن ذهن الكثير من المراقبين يتمثل بأن الشباب ليس المصري فقط بل الشباب العربي بصورة عامة ، شباب يطمح للتغيير ، ويطمح لأن يجد دوله تتقدم سياسيا واقتصاديا وأن لا تظل تقبع في مؤخرة سلم الحريات وحقوق الإنسان .

ورغم إن الرئيس المصري ظهر في وقت متأخر من الليل ليلقي خطابا أو كلمة لم تكن تحمل سوى مزيد من الوعود بالإصلاح مع إقالة حكومة أحمد نظيف ، وربما إقالة الحكومة بحد ذاته لن يرضي المحتجين الذين يطالبون بالمزيد ، والمزيد هنا يشبه إلى حد كبير ما جرى في تونس بإزاحة بن علي من حكم تونس .

الغريب في الأمر كان غياب الخطاب الواقعي لدى الكثير من مسؤولي مصر في الساعات الأولى لاندلاع التظاهرات ، وكل ما سمعناه من بعضهم هي محاولة لإفهام المتلقي بأن ثمة (غوغاء) يقودون أعمال شغب غايتها نهب المال العام وغير ذلك من التبريرات التي لم تعالج أسباب غضب الشارع المصري .

وحقيقة الأمر عمليات السلب والنهب والتي حدثت في أكثر من بلد عربي سواء ما شهدناه في العراق أو تونس أو مصر ، يعكس بالتأكيد الوضع المأساوي الذي تعيشه الشعوب في ظل أنظمة تسرق لقمة عيشها من الأفواه وإلاّ ما الذي يدفع شاب لأن يحمل (أسطوانة غاز) أو (جهاز تكييف) هذا لأنه لا يملكهما؟ .

خلاصة القول بأن ما يجري الآن هو نتيجة طبيعية جدا للسياسات الخاطئة التي اتبعتها النظم الحاكمة في بلدانها ، والحلول المتاحة الآن أمام هذه الحكومات قليلة جدا في ظل إن الأزمة اقتصادية وبالتالي إنعاش الاقتصاد لن يتم بعصا سحرية أو أن نقول له (اتصلح يتصلح) بل يحتاج سنوات .

يوم بارد جداً

طالب المحسن

كالعادة... كان على الطالبة المسيحية ان تغادر الصف لانه موعد حصة الدين... مشت وحيدة بالساحة ولأن الجو بارد جدا حاولت العثور على مكان يقيها هذا البرد لكنها لم تفلح، ترددت كثيرا باتخاذ القرار لكن البرد لم يمهلها فرجعت الى صفها... طرقت الباب، فتحت المدرّسة الباب واندهشت لرؤيتها وكأنها شاهدت كائنا فضائيا... ماذا تريدين؟ ست الدنيا باردة وارغب الجلوس في الصف لكن المدرّسة رفضت قائلة:- لا ابنتي اعذريني... غادرت الطالبة الى الساحة الفارغة، الباردة وحيدة تماما مثل طالبات صفها اللواتي شعرن بانهن وحيدات تماما بدونها.

هذه اللقطة حدثت فعلا في اليوم البارد، الا يمكن ان نجعل من حصة الدين تجمع كل تعاليم السماء المبّشرة بالمحبة والخير وحينها لا نجبر صفوفنا ان تلفظ ابناءها خارجا؟

لانه يوم بارد جدا... توسلت المرأة العجوز بمعاون المدرسة كي ينجز طلبها ولكون المدير غير موجود فعلى العجوز الانتظار، اشفق عليها الشرطي المكلف بحماية المدرسة واجلسها قرب الباب، لكنه شعر بعدم تحمل المرأة لهذا البرد فذهب متطوعا للادارة يترجى تمشية المرأة لبرودة الطقس فأجابه المعاون انه يرغب بمساعدتها لكن عدم وجود المدير والاختام معه تعيقنا من ابداء العون... الاختام في جيب المدير في حله وترحاله وعلى العجوز الانتظار. صحيح ان حضارة العراق هي من انجبت الاختام قبل الاف السنين لكن مخترعها الاول لم يتصور حملها في الجيوب. اذا كان مدير المدرسة لا يثق بمعاونيه فيحمل الاختام معه فكيف لهم زرع الثقة وكل القيم العليا في طلبتهم... انهم يزرعون الشك ويحصدون الخراب.

لانه يوم بارد جدا... لكن مباراة العراق مع ايران كفيله برفع حرارتنا كمشجعين، وبغض النظر عن النتيجة قضينا وقتا ساخنا نرى فيه العراقيين والايرانيين في مباراة نظيفة ليس فيها دوي مدافع ولا جبهات قتال ولا يا حوم اتبع لو جرينا... هذا وحده كاف لان نشعر بالفرح.

لانه يوم بارد جدا... انهيت عملي وخرجت الى باب المعظم لأتمتع بالبرودة فهذا الجو المختلف يحفزني على النشاط، صادفت صديقاً لي من المتوسطة، اكثر من اربعة عقود مرت على صداقتنا وكانت الذكريات سيدة ساخنة جعلتنا نتمشى حتى الباب الشرقي، مررنا بازدحام الطرق، بازدحام الناس، بتراكم القاذورات، بالمباني المهدمة... هذا الطريق ذاته مشيناه نحن الاثنين في سبعينيات القرن الماضي، كان نظيفا ومنسابا... في الباب الشرقي هممت بتوديع صديقي لكنه قال لدي مفاجأة فأحد مدرسينا لديه محل لبيع الاصباغ قرب سينما غرناطة فذهبنا اليه... القينا التحية لكنه لم يجبنا فكان سمعه ثقيلا جدا اضطررنا ان نصرخ بأذنه لنعرّفه بانفسنا... تكلم استاذنا وصمتنا، تكلم عن ايامه وكيف تخرج من دار المعلمين العالية وان دفعته هي السياب، البياتي، نازك، وعبد الرزاق وغيرهم... وتكلم عن اطباء ومهندسين، تكلم عن اداريين رائعين وحريصين على التعليم، تكلم عن حياة جميلة، انه يشتاق جدا لاربعينيات العراق في القرن الماضي، انا وصديقي اشتقنا للسبعينيات، سألت صديقي، الى اين يسير العراق؟ قبّلنا رأس استاذنا وغادرنا.